نـافـذة

النساء لا يحبين الأسئلة

المرأة لا تنتظر إلا حبها، ومن أجل هذا الحب تستغني عن كل ما سواه، لا تعنيها الأسئلة؛ بل تحب أن تُسأل دائماً وأبداً، لأنها تحيا بين الوحي والجنون والشجون والمجون، ترسل الأنين بين الحين والحين، وتعترف بالحب لمن لا تحب، تلك هي أمارات الوحي؛ بل قل ذلك هو الإلهام بعينه، تلك هي دلائل الجنون؛ بل قل هو الهذيان بذاته، مهلاً.. مهلاً ورويداً، فكلا الرأيين متطرف، وفي كليهما مغالاة.

ما قيمة الحياة إن لم تكن وسط مغارس اللذات، وتتلاعب على الوجوه ألوان الإثارة والشبق مع امتزاجها بالسعادة والشقاء؟ أهو الخوف الحاضر من المستقبل الجهول؟ أهو الرماد الذي سرعان ما تصل إليه؟ تحمله نيران اللذة في جمراتها المتحولة آجلاً إلى رماد.

هل تذوقتم الوقوع في أحضان أنثى عاشقة، وعشتم لحظات ضم أذرعها الآمنة، وطبعتم القبلات الحارة أينما وصلت على تضاريس جسدها؟ هل استشعرتم دموع الغيرة والابتهاج لامتلاكها لها والانكسار من خلال فقدانها مظهرة لنا أن الحياة تبارز المرأة؟ فهما المتشكلتان من الألوان والألحان، تتجولان بين الظلال والمشاعر، وكما يحوم الفراش حول الشموع، تحوم الذكورة حول النساء، لتنسج روايات الحب والغرام والخيانة والإخلاص والوفاء، وتبقى الأسرار أسرارها إلى أن تبوح بها بعد أن تستذكر رسائل الحب والفضيلة معتبرة ذاتها أنها البداية والنهاية، والاستمرار يعني من دونها لا استمرار، لذلك نجد أن الذكر يحلم وحيداً بأنثى، تحقق له ذلك أو لا، فهو مصر على حلمه كما هي تماماً.

كل أنثى تحتكم مهما كانت وكيفما وُجدت إلى ذكر يكون على شاكلتها، أو تكون على شاكلته، أو ترتضي عيشها على الرغم من تنافرها معه، كما هو حال كل شعب يحكمه الحاكم الذي يستحقه، فإن كان شعباً يعشق الحرية ويقدس الواجبات الوطنية حكمته حكومة صالحة، وإذا كان الشعب غارقاً في الجهل، ولا يسعى للعلم، ويركن للعبودية، وينساق إلى الفوضى، ويستسلم للذل، كان من نصيبه حكومة فاسدة، والشعوب التي تقبل أن تكون قطيعاً من الأغنام، لابد أن تكون حكومتها من الذئاب، هل تمتلك الشاة الإحساس بعد ذبحها؟ دعونا نتناقش بأريحية، ومن لا يقدر على ذلك فلينسحب، هل نجاري الغرب في قوانينه التي تمنح المرأة حريتها وتستبدها في آن، أو في خيانته للحقيقة الإنسانية؟ أم نقوم بضرب سياسته التي منحنا إياها بثقافته الماكرة، أم بتطوير ثقافتنا التي تعبر فعلاً عن شخصيتنا الحقيقية كأمة تستحق أن نحيا بجزأيها الذكر والأنثى بكرامة وإباء؟ أم إننا سنبقى مقلدين وتابعين وعاملين على مسخ الحقيقة المسكونة في الأمة وأبعادها؟ هل يمكن للمرأة أن تحيا حرة، وأن تثور أمام ما اعوج من أنشطة الذكورة؟ فالتقليد يعني تنازل الإنسان عن كرامته الجوهرية، ما يؤدي لفقدانه شخصيته، ومن ثم هويته.

إن بهاء أي أنثى ونصاعتها يكمنان في وحدة المعنى والمبنى وفكرها وانعكاسهما على بنائها، فهل يكون للمبنى جمال بعيداً من المعنى؟ هذه الأسئلة التي لا يجاب عنها، إنما تجيب بذاتها عن ذاتها.

الذكر يسأل الأنثى: هل تحبينني؟ وأكثر من ذلك هل تتزوجينني؟ هل تصادقينني أو ترافقينني؟ فهل هي تقبل أن تكون خليلة أو حتى داعرة؟ أم إن ظرفاً قاهراً أوصلها لتتقبل الحالة؟ هل هناك من يعالج وحدتها والإحساس بما تشعر وهي تومئ برأسها إلى الأعلى أو إلى الأسفل، أو تشيح به يمنة أو يسرة؟ أي إن الموافقة أو الرفض عبارة عن إشارات خجولة تعبر عما يجول في خاطرها وتقول لماذا؟ ليظهر من داخلها من يسأل عن كل ذلك.

اختلف رجل وزوجته ولديهما طفل، غادرت الزوجة المنزل نتيجة ذلك، حزن الطفل كثيراً، أراد أبوه أن يخرجه من الحالة التي هو عليها، مزّق الأب صفحة من جريدة «الوطن»، عليها خريطة وطن إلى أجزاء صغيرة وقال لطفله: إن استطعت أن تعيد تشكيلها نذهب معاً، وسأعتذر لأمك ونعيدها، اعتقد الأب أنه طلب المستحيل من طفله، أو أنه سيحتاج إلى وقت طويل كي يعيد تجميعها، المفاجأة كانت أنه خلال دقائق قام الطفل بتجميعها، ذُهل الأب وسأله: كيف فعلت ذلك؟ فأجابه بأنه وجد وجه أنثى جميلة خلفها، تشبه أمه، فأخذ بتجميعه، وسرعان ما اكتمل، ما أدى بالأب لتنفيذ وعده.

الحكمة من هذا أنه إن وُفقنا في فهم مقتضيات الأنثى وأسس بنائها فهمنا سريعاً احتياجات الوطن، وحللنا كثيراً من ألغاز بنائه واستعادته والذهاب معاً لتطوير تألقه وانتعاشه.

الوطن أنثى رافعة وأم حنون وحضن دافئ، لذلك يتشابه حصرياً مع لغة الأم، وما تعنيه لغتها القائلة بأنها لا تساوي الذكر، وفي الوقت ذاته هو لا يساويها، لأنها تتكامل معه، وعليه أن يتكامل معها، وتدرك تماماً حالتها البيولوجية وقدراتها الفيزيائية من قدراتها، إلا أن فكرها الباحث عنه وعن البناء معه وفي المجالات كافة يمنحها القوة الاستثنائية والتفوق في دعمه وتشكيل رافعة مهمة له في حياته.

تتجاهل الأنثى إخفاقات الذكورة في مطالب الحياة في حالتي تقديم الاحترام لحضورها ووصولها إلى النشوة الكاملة التي تعشش في ذاكرتها، وترضى بالكفاف من باب تقديرها لقدرات ذكرها المادية، وهنا أؤكد ما يشاع بأنها ممكن أن تنسى خالقها، ولا تنسى مخترق عقلها وقلبها وبكارتها، ومهما فعل بعدها سجلته فريداً في ذاكرتها.

المرأة فعلاً لا تحب الأسئلة، لأنها تنتظر فارسها، أياً كانت مرتبته الحياتية أو رتبته الوظيفية؛ عاملاً فلاحاً مرؤوساً أو مديراً أو حتى رئيساً، لأنها تريد أن تستقر، وأن يهدأ ويتفهم انفعالاتها، وأن تستكين إلى جانبه، تساكنه فراشه بأمان، وتبني معه أسرة، وتمنحه حباً وحناناً وعطفاً، تريد أن يظهر بنيانها مهما كان بسيطاً أم عظيماً، فهو لديها بنيان، ومنه نتحدث عن أن أي أنثى تحتاج إلى الفعل ومصداقيته، حتى وإن كان عابراً فهو وحده الذي يؤثر ويحفر في ذاكرتها، إلا أنها تطلب وبقوة استمراره، تذهب، تبحث عن فقدانه، إن حصل حتى تصل، أو تبقى على أطلاله.

هل ندرك ماذا تريد منا نحن معشر الذكورة، سواء أكنا متحررين أم مقيدين، ديكتاتوريين في علاقتنا معها أم ليبراليين؟ والمهم ألا نكون مستسلمين؛ بل تريد من معشرنا الذكوري أن نكون قياديين قادرين على إيصالها ليس فقط إلى النشوة الجنسية؛ بل إلى نشوة البناء وإيصال إحساسها إلى أنها استطاعت إنجاز شيء ذي معنى، لا إنجاز شيء مبهم، لأنه إن بقي كذلك ضاعت وأضاعت كل شيء.

المرأة لا تحب الأسئلة، لأنها تحب أن تستمع، لكنها إن تكلمت جمعت البداية إلى النهاية، وخاصة إذا كانت غاضبة أو أغضبت، فلن تبقي ولن تذر، تنبش الماضي البعيد والبسيط والمعقد، تمزجها مع الحاضر مع لغة لن تتوقعها الذكورة، أي إنها تسطو على المستقبل فاردةً فيه لغتها التي لا تماثلها لغته، حيث يتمنى مستمعها لو أن الأرض تنشق وتبتلعه لشدة ما تحمله ذاكرتها، فهي ونتاج ما روى لها، وتحدث عن غرامياته وبطولاته وعلاقته بأهله وتراكم أخطائه معها، تتناوله مما روى وفعل، فتثير مشاعره، كي يبقى لاهثاً خلفها، يقدم لها الأعذار، أو يستنجد بما أعطاه المفسر من القداسة، لعله ينقذ ما تبقى من وجوده، فأهم ما يهابه الذكر من الأنوثة حديثها النقدي له، الذي يستثيره إلى حد الجنون، وهنا تكون الطامة الكبرى.

د. نبيل طعمة

في إخراج المعارك ومشاهد المجازفة والأدوار البديلة

جمال الظاهر لـ «الوطن»: الصعوبة تكمن في التحضير للمشهد... ولأن التكلفة عالية لا نعيد تصويره

سوسن صيداوي

الإبهار وشدّ الجمهور ليس أمراً هيناً على الإطلاق، فمن بين ما لا يدرك مشقته المُشاهد، هو تصوير المعارك والحوادث أو الاقتتال في الأفلام أو المسلسلات مهما كان نوعها، فالتحضير لها بالغ التعقيد لكونها تحتاج إلى دقة عالية، وجهد وصبر كبيرين، كي تؤخذ اللقطة المطلوبة في مرة واحدة لن تتكرر لأنها تتطلب تكلفة عالية في الإنتاج. في هذا المجال تمكّن المجازف السوري جمال الظاهر من تحقيق بصمة مميزة، صنّفته كمخرج للمعارك ومجازف ومدرب للممثلين ومؤد للأدوار البديلة في الأكشن والمشاهد القتالية والمجازفة. البداية سوريّة وبعدها إلى الدول العربية ثم العالمية، حيث حصل على بطولة الجمهورية العربية السورية في العديد من الألعاب الرياضية، لينطلق في إخراج المعارك والفنون القتالية وأدوار المجازفة من مدينته الرقة، بالعمل بداية مع المخرج نجدة أنزور في العديد من الأعمال، متجاوزاً خطورة الأدوار، وضعف الإنتاج واستخدام التقنيات، مقدماً مع –فريقه الذي شكّله– فريق المجازفين السوريين الأداء الاحترافي المتقن، منتسباً إلى مدارس مختصة في إيطاليا وبريطانيا وإسبانيا، ومستفيداً في التدريب القتالي من أساتذة أميركيين ويابانيين، هذه الدراسات أصبحت خبرة متراكمة من تجارب تزيد حتى الآن على ٤٠٠ عمل تنوعت بين الأعمال الدرامية والأفلام السينمائية والفيديو كليبات والإعلانات التجارية، منها: الولادة من الخاصرة، طريق، هارون الرشيد، غرابيب سود، ذاكرة الجسد، رأس غليص، الطوارید، القعقاع، خالد بن الوليد، العراب، شوق، خاتون، فرقة ناجي عطا الله، حلاوة روح، وهم، هوا أصفر، عطر الشام، فانية وتبدد، سوريون، الأب، جمال عبد الناصر، حنين الذاكرة، ماورد، مملكة الأكاذيب.

من بين ما ذكرنا أعلاه أعمال جمعته بأهم الأسماء السورية والعربية والعالمية كي يقوم بتدريب الممثلين أو يؤدي عنهم دوراً بديلاً مثل: عادل إمام، قصي خولي، عابد فهد، أحمد السقا، محمد رمضان، تامر حسني، باسل خياط، طوني عيسى، يوسف الخال... إلخ.

للحديث أكثر عن هذا الاختصاص الفني وما يتعرض له من مشكلات تُفقد المشاهد الإبهار البصري مقارنة بالغرب، حدثنا مخرج المعارك جمال الظاهر مسلطاً الضوء على العديد من النقاط في حوارنا التالي معه:

• منذ متى وأنت تتدرّب كمقاتل.. وكيف بدأت القصة وأصبحت تصوّر مشاهد المجازفة والأكشن وتقوم بإخراج المعارك؟

بدأت قصتي مع المجازفة من خلال الرياضة، فأنا بطل الجمهورية العربية السورية في العديد من الألعاب الرياضية، ووقتها كنت بعمر صغير جداً، أما بالنسبة لتصويري مشاهد المجازفات، فكانت البداية مع المخرج نجدت أنزور في المعارك التي كان يصورها في المدينة التي أنتمي إليها وهي مدينة الرقة، والانطلاقة كانت في مسلسلات: تل الرماد، صلاح الدين، فارس بن مروان.

• حدثنا عن فريق المجازفين السوريين ومن مؤسسه، وبأي سن يمكن الانتساب إليه وتحت أي شروط، وهل من جهة داعمة له؟

أنا من شكل فريق المجازفين السوريين وعدد أعضائه في الوقت الحالي سبعة مقاتلين، للأسف الشديد لا توجد مؤسسة للدعم، فالفريق خاص، ولا يوجد عمر محدد للانتساب إليه، ولكن لا يجوز أن يكون عمر اللاعب أقل من سبعة عشر عاماً، ففي هذا العمر يصبح بنيانه الجسدي جيداً وعضلاته قوية، وغير ذلك لا توجد شروط أخرى لأن المجازفين هم بطبيعة الحال شباب رياضيون وأنا أدربهم كي يؤدوا حركات المجازفة بطريقة فنية أمام الكاميرا.

• هل أنتم مؤمّنون على سلامتكم؟

بالنسبة للتأمين على حياتنا أو سلامتنا فهو تأمين خاص، ولا توجد شركات لهذا الموضوع، وإن حصلت أي إصابات أو حوادث مضرّة بصحتنا أو سلامتنا تتبناها شركة الإنتاج وهي تقوم بالعلاج على نفقتها، على حين في الأعمال التي تنفّذ خارج سورية، في تلك الدول توجد شركات تؤمّن على سلامتنا وحياتنا مقابل تصوير مشاهد المجازفة.

• مَن من الممثلين الذين تعاملت معهم؟ ومن أكثرهم يتمتع بمرونة جسدية، وهل دربت فنانات؟

لقد تعاملت مع أكثر من تسعين بالمئة من ممثلي الوطن العربي سواء كانوا سوريين أم مصرين أو لبنانيين أو أردنيين أو خليجيين أو مغاربة. ولكن في الحقيقة أكثر الممثلين الذين تعاملتم وهم بالفعل يتمتعون بلياقة بدنية وقدرة جسدية عالية من الفنانين السوريين: باسم ياخور، قصي خولي، عابد فهد. من الفنانين العرب: الفنان الأردني ياسر المصري رحمه الله، محمد رمضان، محمد السقا. وبالطبع قمت بتدريب العديد من الفنانات من سورية: كاريس بشار، شكران مرتجى، كندا حنا، نسرين طافش، جيني إسبر. من اللبنانيات قمت بتدريب الفنانات: نانسي عجرم، هيفا وهبة، نيكول سابا. من مصر: غادة عبد الرازق وسمية الخشاب.

• هل مثلت دوراً بديلاً من ممثل ما في مشهد يتطلب الأكشن والمجازفة؟

خلال اثنا عشر عاماً من عملي بالطبع مثلت عن أكثر من ثمانين بالمئة من الفنانين العرب في أدوار مجازفة بديلة. ففي مصر مثلت كبديل من: الزعيم عادل الأمام، أحمد السقا، محمد رمضان، مصطفى شعبان وتامر حسني. في لبنان: يوسف الخال، طوني عيسى. ومن النجوم السوريين: قصي خولي، تيم حسن، باسل خياط، عابد فهد. أحب هنا أن أشير إلى أن كل أسماء الفنانين الذين ذكرتهم أغلبهم جسمهم من حيث الطول أو الحجم قريب من جسمي، على حين الأعضاء الآخرون في الفريق يعملون بديلاً من فنانين بقامة الفنان باسم ياخور، حتى من الفريق أعضاء أجسادهم نحيلة كي يقوموا بدور بديل من فنانات في مشاهد تجسّد ركوب الخيل مثلاً أو سقطة من مكان مرتفع. وبالنسبة لأدوار البديل في المجازفة لم تقتصر على أعمال عربية فقط، فلقد عملت كنجم بديل من نجوم عالميين في هوليود مثل فيلم المنطقة الخضراء «Green Zone»، وأيضاً فيلم ثلاثين دقيقة بعد منتصف الليل «Zero Dark Thirty». وأيضاً فيلم المياه الباردة «كولد ووتر». وشاركت في عمل روسي باسم «جامع الطوابع الحديدي»، وفي الفيلم التركي «طريق العودة إلى البيت، وكذلك الفيلم الألماني «إبراهيم الخليل»، إضافة إلى العديد من الإعلانات لماركات عالمية تجارية تعود لعدة دول أوروبية ودول أجنبية أخرى.

• تتطلب صناعة المعارك وإخراجها دقة عالية وتكلفة كبيرة إضافة إلى مجهود مضاعف، حدثنا عن صعوبة الأمر؟

الصعوبة في مهنتي من خلال التحضير لتصميم المعارك أو تنفيذ المشاهد الخطرة، فاللياقة البدنية يتمتع بها أعضاء فريق المجازفة ونحن نتدرب بشكل دائم، ولكن التحضير للمعارك يحتاج إلى تكلفة عالية جداً وإلى إنتاج عال، لكون مشهد المجازفة لا يمكن إعادة تصويره، الأمر الذي يتطلّب الكثير من التحضير، فمثلا إذا كان المشهد يتطلب تصوير حادث سير وتحطّم سيارة، إذاً الأمر مكلف، ولا يمكننا إعادة تصوير المشهد، لهذا نحضر كثيراً.

• برأيك لماذا مشاهد الأكشن في الأعمال الأجنبية أكثر قربا من الواقع والحقيقة؟

بالفعل هذا ما نسمعه دائماً من جمهورنا العربي حول قرب مشاهد الأكشن الأجنبية من الواقع، وهنا أحب أن أشير إلى نقطة في غاية الأهمية حتى في سورية ليس لدينا المستوى الذي تتمتع به مصر في هذا المجال، وما أحب أن أوضحه هنا أن الأعمال التي اشتغلتها في الخارج الأجنبي مختلفة عما نعمله هنا محليا وعربيا، والسبب بصراحة يعود للإنتاج من حيث تكلفة التحضير وحتى الصبر على اللقطة في المشهد، ففي الغرب مثلا نعمل يوماً كاملاً من أجل لقطة المجازفة في المشهد، هذا إضافة إلى أن التكلفة عالية جداً من حيث الكومبارس والتجهيز والإكسسوار المستخدم في المشهد كنوع المتفجرات، حجم الحريق، تدريب الممثلين والمشاركين، فهذا كلّه يلعب دوراً في إنجاح اللقطة وإظهارها كي تكون مشابهة للقطات العالمية أو العكس، إذاً نحن محليا وعربيا نعاني من عجلة في التصوير لكوننا محكومين بزمن معين لتسليم المسلسل أو الفيلم، إذا لا فرق بين فرق المجازفة الغربية وبين فريق المجازفة العربي، فأنا درست في بريطانيا وإسبانيا، وتعلمت اختصاص المجازفة والفنون القتالية على يد أساتذة في هوليود واليابان، وخبرتي أقدمها من خلال التدريبات لفريقي.

• ولكن ألا يمكننا أن نعوّل أيضاً على ضعف التقنيات المستخدمة في التأثير السلبي في مشاهد الأكشن العربي؟

نعم... فنظرتنا إلى مشاهد الأكشن والمجازفة يجب أن تكون متطورة من حيث اعتبارها اختصاصا لا يجوز التدخل فيه وهو اختصاص بحاجة إلى عين خاصة. وفي الحقيقة إضافة إلى ما ذكرته أعلاه من أسباب تضعف مشاهد القتال أو المجازفة، فهناك أمور تقنية تؤذي عملنا وتقدمه بطريقة مختلفة عما هو مكتوب على الورق، سواء من حيث طريقة تصوير المشهد، أو من حيث طريقة مونتاجه، إذاً التقنيات المتاحة بين أيدينا لا تخدمنا، وللتوضيح أنا قادر على إخراج معركة تحتاج إلى لياقة بدنية ونزاع وحركات قتالية وغيره الكثير من العناصر ذات المستوى الفني العالي، ولكن ببساطة تأتي مثلا تقنية الغرافيك أو الخدعة السينمائية والموسيقا التصويرية كي لا يخدمونا، إذاً هذه كلّها أمور تفشّل المشهد، وتأكيداً لكلامي يُلاحظ الجمهور وهو ينشد لمشهد ما فيه الممثل يقوم بدور البطل ويؤدي حركات بطولية خارقة، على حين في حقيقة الأمر الممثل شخص عادي وحركاته أمام الكاميرا في غاية البساطة، ولكن ما يخدمه كل من التصوير والغرافيك والموسيقا والكثير من التقنيات والمؤثرات التي تعطي المشهد شكلا جميلا وتجعل الجمهور يصدق بأن الممثل هو بطل خارق. هذا من جهة ومن جهة أخرى أحب أن ألفت الانتباه إلى نقطة وهي أن الإكسسوار المستخدم في الأسلحة كالبنادق والسيوف والرماح. نحن ما زلنا نستخدم البلاستيكي منها، على حين في الغرب نستخدم أسلحة حقيقية ونتعامل مثلا مع الرصاص والمتفجرات ضمن مؤثرات خاصة واحتياطات تجعل من مشاهد المعارك والقتال صادقة نوعا ما وقريبة جداً من الواقع.

> من بلدي سورية انطلقت إلى العالمية التي هي هدف حصلت عليه من دراستي وخبراتي

• لقد شاركت بالكثير من الأفلام والأعمال العالمية.. اليوم هل حققت حلمك ببلوغ العالمية؟

مشروع العالمية هو هدف قائم بحد ذاته بالنسبة لي سواء كمخرج معارك أم كمجازف أو كمخرج أفلام سينمائية، وهو أمر حصلت عليه من الخبرات المتراكمة في عملي، وانطلقت إلى العالمية من المحلية من بلدي سورية وإلى الدول العربية، ولكن العالمية بحاجة إلى دعم وللأسف هذا غير متوافر، لهذا اعتمدت على نفسي، فأنا وفريقي أصبح لنا مكاننا ومطلوبون عربيا وعالميا، وفي الوقت الحالي لدينا جولة في عدة أقطار عربية. هذا وأحب أن أضيف إننا كفريق مجازفين سوريين نسافر للخارج باسم بلدنا كسوريين، وفي الفترة الحالية لدي تصوير معارك في كازاخستان، وفي تركيا ومهرجان في أوروبا، وأختم هنا أنني أحمد الله لكوننا أصبحنا نحن فريق المجازفين السوريين، قادرين على دعم أنفسنا ولسنا بحاجة لدعم من أي جهة.

• في الختام هل توجز لنا ما شاركت به من أعمال سورية وعربية: سينمائية، درامية، تاريخية، بدوية؟

من الأعمال التاريخية البدوية التي عملت بها: هارون الرشيد، القعقاع، خالد بن الوليد، أحمد بن حنبل، عنترة بن شداد، المهلب بن أبي صفرة، أبو جعفر المنصور، قمر بني هاشم، رايات الحق، الأمين والمأمون، المرابطون والأندلس، الظاهر بيبرس، سقوط الخلافة، جمر الغضب، بلقيس، عيون عليا، رأس غليص، الطوارید، فنجان الدم، الوعد، إخوة الدم، نمر بن عدوان، وضحة وابن عجلان، أبواب الغيم، صراع على الرمال.

عملت أيضاً بالأعمال الدرامية منها: الاجتياح، غرابيب سود، ذاكرة الجسد، رجال الحسم، ما ملكت أيمانكم، طوق البنات وعطر الشام، الولادة من الخاصرة، حلاوة الروح، شوق، الغالبون، ملح التراب، خاتون، بلا غمد، وهم، هوا أصفر، فرقة ناجي عطا الله، نابليون، خطوط حمراء، الصفعة، العراب، طريق، باب الحارة عدا جزئيه السابع والسادس.

وأخيراً في السينما شاركت بالكثير من الأفلام منها: مملكة النمل، جمال عبد الناصر، فانية وتتبدد، رد القضاء، مملكة الأكاذيب، حنين الذاكرة، فيلم الأب، سوريون، وعد شرف، مسيرة وطن، حماة الديار، ماورد.

ثنائية الثقافة والإعلام.. من الرسالة إلى الاستلاب

سارة سلامة

صدر عن وزارة الثقافة– الهيئة العامة السورية للكتاب، كتاب بعنوان: «ثنائية الثقافة والإعلام.. من الرسالة إلى الاستلاب»، للكاتب ديب علي حسن، الذي يناقش فيه الواقع الإعلامي كيف كان؟ وإلى أين ذاهب؟ والكتاب يقع في ٢٨٤ صفحة من القطع المتوسط، ويذكر الكاتب في مقدمته أنه: «مضى على أول مرة تقع فيها عيناي على مجلة بشكل مباشر، نصف قرن ونيف، مجلة المعرفة معلقة على جدار مكتبة ما، في مدينتي، توقفت أمامها كثيراً، لم أجرؤ أن أسأل عن ثمنها، رآني صاحب المكتبة أقف حائراً بين السؤال، والرغبة أن أتركها وأمضي، حين لاحظت أنه يرمقني، هرولت سريعاً، بينما توقف صديقي وتسمر بالمكان، بعد قليل عاد وبيده المجلة، وبصوت المنتصر: هذه المجلة لك، أسأله كيف أتيت بها؟ لقد أعطاني إياها صاحب المكتبة حين رآك مشغولاً بها، وبدأت رحلة الشغف بالحرف مطبوعاً بغير كتبنا المدرسية، وحين نلت الثانوية، تمنيت أن يكون للصحافة فرع لدينا، سألت عن الأمر، كان قد أغلق، مضيت إلى درب الآداب، ولكن قسم الصحافة عاد إلى الظهور، وكنت قد وصلت إلى السنة الرابعة، فهل أعود القهقهرى سنوات إلى الوراء؟ راودتني الفكرة، لكن أحد مدرسينا الأجلاء كان الحكم الفيصل: اسمع يا بني: معظم كتاب الصحافة العربية ليسوا خريجي أقسام الصحافة، هم من المشتغلين بالآداب، ومن ثم إن الصحافة ثقافة وآداب واجتماع، ورسالتها نشر الوعي، ومن ثم لا بد من عمق فكري لمن يعمل بها، تابع دراستك، وثقف نفسك، لتكون قادراً على الكتابة».

ويتابع حسن: «تمضي سنوات جامعة تشرين، وتقودني اللهفة إلى دمشق كلية التربية، قريباً من مناهل الحرف والصحافة، تشدني مجلة الثقافة الأسبوعية للراحل مدحت عكاش، أكتب لها دراسة مطولة تحت عنوان: نديم محمد والجمر المتقد في شعره، تنشرها المجلة على حلقتين عام ١٩٨٥م، ليزداد الطموح بالعمل في مؤسسة إعلامية، أحد الأقرباء توصى بي عند مدير عام مؤسسة صحيفة كبيرة. مضيفاً: هذا طالب دراسات عليا، يشفّر المدير إلى قسم التجليد، نعم إلى قسم التجليد، وما الضير بذلك؟ سأكون قرب الحرف، بمقدوري أن أوفر قليلاً من النقود لشراء المزيد من المجلات والكتب، وبعدها الخطوة الثانية، التواصل مع صفحة إبداع الشباب التي كان يشرف عليها الراحل جان ألكسان، تنشر لي مجموعة قطع هي أقرب إلى البوح والخواطر».

وأخيراً يقول: «لن نقول إن إعلامنا في أحسن أحواله، لكنه بالتأكيد ليس كما يحاولون وصفه، لدينا ما نعانيه، ولنا، ما لنا، وعلينا أيضاً ما علينا، ويكفينا فخراً أننا صوت وطني لم يبع، لم يهادن وليست الإثارة غايته، إنما الموضوعية، نحن إعلام وطن ودولة ورسالة، قبل أن نكون إعلام أي أحد، ولو لم يكن هذا الإعلام قد أدى شيئاً من رسالته ودوره لما تكالبت عليه القوى الخارجية، ولما وضعته نصب عدوانها، والغريب في الأمر أن البعض لا يكلف نفسه عناء متابعة الإعلام، وبعضهم يعتز أنه لم يشتر صحيفة منذ سنوات، ولكنه يطلق أحكامه، ومن باب أنه خبير إعلامي، والأكثر طرافة في الأمر أن الجميع كما يبدو يفهمون بالإعلام أكثر من الإعلاميين، ومع ذلك شكراً لكم، نحن أبناء الحياة، تقحمنا الموت وأطعمناه أقلامنا، لسنا على تخوم المقابر أبداً، وحبرنا، صوتنا، صورنا، من نبض الناس وللناس، ويكفينا ذلك».